١٣

حُسن التشبيه وسرحات الخيال في شعر ابن المنخل الشلبي

م.د. هدى عبد الحميد سليم

الجامعة المستنصرية – كلية التربية الأساسية – قسم اللغة العربية

حسن التشبيه
وسرحات الخيال
في شعر ابن المنخل الشلبي

حُسن التشبيه وسرحات الخيال في شعر ابن المنخل الشلبي

م.د. هدى عبد الحميد سليم

الجامعة المستنصرية – كلية التربية الأساسية – قسم اللغة العربية

الملخص

يسعى بحثنا الموسوم بـ (حُسن التشبيه وسرحات الخيال في شعر ابن المنخل الشلبي) إلى استكشاف عنصر التشبيه في شعر هذا الشاعر، والنظر إليه من زاوية كونه أحد أهم عناصر الصورة الشعرية القادرة على إنتاج الخيال، الذي من شأنه أن يحقق عملية التواصل بين منشئ النص ومتلقيه. إذ إنَّ الصورة الشعرية هي المرحلة النهائية التي تتأطر بها الصنعة الشعرية ، فتظهر من خلالها براعة الشاعر في استعمال اللغة استعمالاً فنياً قادراً على إحداث عملية تضافر العناصر البنائية جميعاً في عملية التخييل الشعري، حيث توصل البحثُ إلى استكشاف هيمنة عناصر البيان على تشكيل الصورة الخيالية، الأمر الذي من شأنه أن يضع التشبيه في خانة المجاز؛ لأنَّ غاية التشبيه صناعة الخيال الذي لا يبتعد عن الجانب النفسي،الرابط للصورة الشعرية بالحالة الشعورية للشاعر، وقد تركَّز البحث على النظر إلى جمالية التشبيه من خلال تحقيقه لقدر أكبر من سرحات الخيال.

والله الموفق ومنه العون .

Summery

The work titled "the beauty of Simile and flights of imagination in the in the poetry of Ibn Al-Munkhaal Al-Shalbi" seeks to explore the elements of simile in the poetry of this poet, viewing it as one of most significant components of poetic imagery capable of generation imagination.

The study concludes that rhetorical elements dominate the formation of imaginative imagery, leading the researcher to support the idea that simile is a form of metaphor.

The study focuses on examining the aesthetic value of simile through its ability to achieve a greater extent of imaginative flights.

المقدمة

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على أكرم خلق الله أجمعين، محمد الطيب الطاهر الأمين، وعلى آله وصحبه الغر المنتجبين، ومن تبعهم بإحسان واهتدى بهديهم إلى يوم الدين . أما بعدُ:

فإني أضع بين يدي القارئ الكريم البحث الموسوم بـ (حسن التشبيه وسرحات الخيال في شعر ابن المنخل الشلبي)، وقد تناول البحث شعر الشاعر من زاوية فنية هي زاوية التشبيه، وذلك لما امتاز به هذا الشعر من تشبيهات بارعة، وقد استطاع بحثنا هذ أن يفتح نافذة من نوافذ الكشف الفني، ارتكزت أساساً على التحليل، والتنقل بين الأدب والبلاغة، ثم اللمح النقدي في بعض الأحيان، مستفيدة من أكثر من منهج في التحليل، وقد نحا البحث منحىً اعتمد التركيز على الفكرة الأساس التي مثلت البؤرة البحثية، غير أنه لم يهمل الجوانب الأخرى، ومنها التنظير، وكذلك شيء من الجانب التاريخي للتعريف بالشاعر.

والله الموفق

أولاً: سيرة الشاعر

أ ـ مدينة شَلْب أو شِلْب : من مدن الأندلس، وأول من أطلق هذا الاسم على المدينة هم المسلمون بعد فتحها، وتقرأ بكسر سينها أو بفتحه[١].

وتقع هذه المدينة في جنوبي البرتغال قرب المحيط الأطلسي، ويحيط بها من الشمال مدينتا لشبونة وباجة[٢].

ب ـ الشاعر: هو محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن المنخل المهري الشلبي، من أهل شلب وكنيته أبو بكر.

كان أحد الأدباء المتقدمين والشعراء المجودين، وله في علم الكلام. وكان إماماً يعتمد عليه في القراءة والعربية والبلاغة، وقد انتقل إلى بلاد المغرب، واتصل بالموحدين[٣].

لم تذكر المصادر كثيراً عن حياته سوى معلومات قليلة، منها أنه ولد بعد سنة ٤٨٠ للهجرة[٤].

يقال إنَّ له ديوان شعر مدون، ولكنه لم يصل لأيدي القراء، وقد روى شعره أبو الربيع بن سالم، وكان له ابن اسمه عبد الله، وكنيته أبو محمد، وله مشاركة في نظم الشعر.

أدرك ابن المنخل نهاية القرن الخامس الهجري، وقد امتد به العمر إلى أن عبر النصف الأول من القرن السادس، وقد ذكر امتداد عمره ببيتين من الشعر يقول فيهما:

مضت لي سبع بعد سبعين حجة ولي حركات بعدها وسكونُ

فيا ليت شعري أين أو كيف أو يكون الذي لا بدَّ أن سيكونُ[٥]

وقد قيل في الشاعر: كان ذا الشارة والبهاء، والمنظر الرائق والرواء، الذي إن تكلم أصمت لهجة العجاج، أزمة بهجة النظربن حجاج، أنهضته همة سماكية، وأيدته آداب أصمعية، وسودته نفس عصامية، ومن كلامه ما يلحقه بالأعيان، ويثبته في شعراء الأوان[٦].

ومن الذين أشادوا به : ابن الأبار في التكملة، والرعيني في جنى الأزاهر النضيرة، والمراكشي في الذيل والتكملة، والصفدي في الوافي بالوفيات.

---

(١)ينظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي (٦٢٦هـ)، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٤م، ج٣/٣٥٧.
(٢)ينظر: الروض المعطار في خبر الأقطار، الحميري (٩٠٠هـ)، دار الجيل، بيروت، ١٩٨٨م: ٣٦.
(٣)ينظر: مدينة شلب الأندلسية من الفتح وحتى السقوط (٩٥ـ ٦٤٥هـ /٧١٤ـ ١٢٤٧م)، إعداد: عبد المجيد مفتاح محمد عبيدات، الجامعة الأردنية، تموز ٢٠١٣م: ١٧٣ـ ١٧٤.
(٤)التكملة لكتاب الصلة، ابن الأبار البلنسي (٦٥٨)، عبد السلام الهراس، دار الفكر، ١٩٩٥م: ج٢/٢٨.
(٥)ابن المنخل الشلبي (ت في حدود ٥٦٠ هـ) حياته وما تبقى من شعره، جمع وتوثيق ودراسة : د. آزاد محمد كريم الباجلاني، قسم اللغة العربية ـ كلية التربية الأساسية، جامعة كرميان، نشر: مجلة العلوم العربية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد: ٧١/ ربيع الثاني ١٤٤٥هـ : ١٥٦.
(٦)المقتضب من كتاب السمط، الإمام الشلبي الاستجي(٥٦٠هـ)، : ٨٧.

وبعد عمرٍ طويل، وسيرة زاخرة، توفي الشاعر محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن المنخل المهري الشلبي في حدود سنة ٥٦٠ للهجرة[٧]. رحمه الله تعالى.

ثانياً : حيثيات التشبيه

أ- التشبيه لغة واصطلاحاً

ورد في لسان العرب : الشبه المثل ، وأشبه الشيء ماثله وتشابه الشيئان واشتبها : أشبه كل واحد منهما صاحبه ، والتشبيه التمثيل[٨] .

أما اصطلاحاً ، فأقدم تعريف كان للمبرد، وهو قوله : " واعلم أن للتشبيه حداً، لأن الأشياء تتشابه من وجوه وتتباين من وجوه، فإنما ينظر إلى التشبيه من أين وقع ، فإذا شبه الوجه بالشمس والقمر، فإنما يراد به ضياء الرونق، ولا يرد به العظم والاحتراق "[٩]. وقد نبَّه المبرد قديماً إلى أهمية هذا الفن وقيمته ، فقسمه إلى مفرط، ومصيب، ومقارب، وبعيد[١٠]، وذلك بحسب القيمة الفنية، وضرب كثيراً من الأمثلة لذلك. أما قدامة بن جعفر فقال : " إن الشيء لا يشبه بنفسه ولا بغيره من كل الجهات، إذ كان الشيئان إذا تشابها من جميع الوجوه ولم يقع بينهما تغاير اتحدا فصار الاثنان واحداً، فبقي أن يكون التشبيه إنما يقع بين شيئين، بينهما اشتراك في معان تعمهما، ويوصفان بها، وافتراق في أشياء، ينفرد كل واحد منهما عن صاحبه بصفتها"[١١]

وعرف الرماني التشبيه بأنه : " العقد على أن أحد الشيئين يسد مسد الآخر في حسن أو عقل"[١٢]

أما أبو هلال العسكري، فقال : " الوصف بأن أحد الموصوفين ينوب مناب الآخر بأداة التشبيه "[١٣] .

وفصل عبد القاهر الجرجاني التشبيه، فقال : " اعلم أن الشيئين إذا شبه أحدهما بالآخر، كان ذلك على ضربين : أحدهما أن يكون من جهة أمر لا يحتاج إلى تأول ،

---

(٧)التكملة لكتاب الصلة، ابن الأبار البلنسي (٦٥٨)، عبد السلام الهراس، دار الفكر، ١٩٩٥م: ج٢/٢٨.
(٨)ينظر :لسان العرب، ابن منظور الإفريقي (ت٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٩٩٤م. مادة (شبه).
(٩) الكامل في اللغة والأدب، أبو العباس المبرد، تحقيق: جمعة الحسن، دار المعرفة بيروت لبنان، ١٤٢٨هـ،ج٢ : ٤٩٤.
(١٠)ينظر: الكامل، ج٢ : ٤٩٥ ـ ٤٩٩ .
(١١)نقد الشعر لأبي الفرج قدامة بن جعفر، كمال مصطفى، الخانجي، دت. : ١٢٢.
(١٢)ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني، حققها وعلق عليها: محمد خلف الله أحمد، محمد زغلول سلام، دار المعارف بمصر، ط٣، ١٩٧٦م.: ٧٤.
(١٣)الصناعتين، الكتابة والشعر، تصنيف: أبي هلال الحسن بن عبدا لله بن سهل العسكري، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط١، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.: ٢١٣.

والآخر : أن يكون الشبه محصلاً بضرب من التأول"[١٤] ، والضرب الثاني هو ما يسمى بتشبيه التمثيل.

أمّا السكاكي فقد حدَّ التشبيه بقوله : " التشبيه مستدع طرفين مشبهاً ومشبهاً به، واشتراكاً بينهما من وجه، وافتراقاً من آخر مثل أن يشتركا في الحقيقة، ويختلفان في الصفة أو بالعكس "[١٥]. وعرفه القزويني بأنه: **"**الدلالة على مشاركة أمر لأمر في معنى، **"**[١٦] ، وقد فعل القزويني كما فعل السكاكي في جعله التشبيه مقدمة لعلم البيان، كون أن أحد قسمي الاستعارة مبنيٌّ عليه. أما أهل البديع فإنهم يعرفونه على أنه العقد على أن أحد الشيئين يسد مسد الآخر[١٧].

ب ـ التشبيه والخيال

إنَّ البحث في موضوع الخيال الناتج من فن التشبيه يدفعنا إلى النظر في أمرين:

١ـ في كون التشبيه من الحقيقة أو من المجاز، ذاك أنَّ التخيل هو أحد نتاجات المجاز؛ لأنه يدفع بالذهن إلى الابتعاد عن التعبير الظاهر على سطح النص، والقيام بعملية تَمثُّلٍ لهذا التعبير في الذهن، لتشكيل تعبير آخر غير حقيقي.

٢ـ في عملية إسهام التشبيه في تشكيل الصورة الشعرية، ذاك أنَّ عماد الصورة الشعرية هو الخيال الناتج عن التشبيه وسائر فنون البيان.

فأما الأمر الأول، فقد اختلف البلاغيون في أن التشبيه من الحقيقة أو من المجاز ، فعلى وفق ما أقره السكاكي هو من الحقيقة ، غير أنَّ بعض البلاغيين يرون أنَّ التشبيه من المجاز، فابن قتيبة " جعل التشبيه المحذوف الأداة استعارة "[١٨] ، وكان ابن فارس على هذا الرأي أيضاً[١٩] . ومثل هذا الرأي كان رأي ابن رشيق؛ إذ

---

[١٤]() أسرار البلاغة، تأليف: الشيخ الإمام أبي بكر، عبد القاهر بن الرحمن بن محمد الجرجاني النحوي، ٤٧١ أو ٤٧٤هـ، تعليق: محمود محمد شاكر، دار المدني بجدة، ط١، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩١هـ: ٩٠ .

[١٥]مفتاح العلوم، تأليف: أبي يعقوب، يوسف بن محمد بن علي السكاكي، ٦٢٦هـ، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، منشورات: محمد علي بيضون، ط١، ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م : ٤٣٩.

[١٦] التلخيص في علوم البلاغة، ضمن كتاب عروس الافراح في شرح تلخيص المفتاح، للشيخ بهاء الدين أبي حامد أحمد بن علي بن عبد الكافي السبكي، ٧٧٣هـ، د. خليل إبراهيم خليل، منشورات: محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠١م: ٨٩.

[١٧]شرح الكافية البديعية، صفي الدين الحلي، تحقيق: د. رشيد عبد الرحمن العبيدي، جمهورية العراق، الوقف السني، مركز البحوث والدراسات الإسلامية، بغداد، ط١، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م: ١٨٤.

[١٨]التشبيه المجازي: د. سمير أحمد معلوف، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، المجلد ٨٧، العدد: ٣٠ يونيو حزيران ٢٠١٢م .:٣٩٧ ، وينظر :تأويل مشكل القرآن، لابن قتيبة، ٢١٣ـ ٢٧٦هـ، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار التراث القاهرة، ط٢، ١٣٩٣ـ ١٩٧٣م: ١٤١.

[١٩]ينظر:الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، المؤلف: أحمد بن فارس بن زكريا الرازي، أبو الحسين، المحقق: أحمد حسين بسج، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م: ٣٣٦.

يقول " فصار التشبيه والاستعارة وغيرهما من محاسن الكلام داخلة تحت المجاز "[٢٠].

وقد اعتنى المحدثون بدراسة التشبيه، فقد جمع الأستاذ علي الجندي تعريفات السابقين، فيما يتعلق بتعريف التشبيه، فعلق عليها قائلاً : " ويلاحظ أن هذه الحدود جميعاً تتفق في الجوهر، وهو اتفاق المشبه والمشبه به في وصف يجمعهما"[٢١] .

وعرف السيد أحمد الهاشمي التشبيه بأنه : " عقد مماثلة بين أمرين أو أكثر قصد إشراكهما في صفة أو أكثر بأداة لغرض يقصده المتكلم"[٢٢]

وأما الأمر الآخر، وهو علاقة التشبيه بالخيال، فمما لا شكَّ فيه هو أنَّ الخيال أهم نتاجات الصورة الشعرية، وأنَّ التشبيه هو العنصر المهم في تشكيل خيال المبدع، ومن ثم خيال المتلقي، ذاك أنَّ الصورة الشعرية هي عملية رسم بالكلمات يعمد إليها الشاعر الأديب لتصوير اللوحات التي تختلج بها مشاعره، فيظهر التشكيل بأشكال متعددة، و"من معناها هذا ظهر الفن التشكيلي في الرسم والنحت" [٢٣]، فالعلاقة بين الشعر والرسم هي الأقدم من بين علاقته بالفنون الأخرى " [٢٤]؛ لأنَّ الرسم عملية نقل للتجربة الواقعية بالألوان، والشعر نقلٌ لتلك التجربة من خلال الحروف .

و " الشعر جنس أدبي ثري وغني ويرتبط ارتباطاً وثيقاً بالعاطفة والوجدان والمعرفة داخل تجربة عميقة وخصبة، وقابل لاستيعاب كل الممكنات المتاحة لغة وإيقاعاً وصورة وبناء؛ فضلاً عن أنه عالي الإيجابية في التفاعل مع الفنون الأخرى، وتوظيف معطياتها الملائمة، والتعالق مع أسلوبياتها في الصوغ والتعبير على مختلف المستويات "[٢٥]

إنَّ ما يتميز به النص الشعري هو البنية التشكيلية ذات الصفة الأنموذجية التي"تفارق فيها أنواع النصوص الأخرى مفارقة كمية ونوعية؛ إذ هي تعتمد في تشييد بنيتها على عناصر تشكيل ينزاح عملها عن نسق الواقع والمألوف اللغوي في طبيعته التعبيرية السائدة "[٢٦]، لكن عملية التشكيل الشعري لا تتوقف عند هذا الحد، فهي ليست تشكيلاً لمجموعة من الألفاظ، كما هو الشأن في أي عبارة لغوية ،

---

(٢٠)العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تأليف أبي علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي، ٣٩٠ ـ ٤٦٥ هـ، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، ط٥، ١٤١٠ـ ١٩٨١م: ٢٦٦.

(٢١)فن التشبيه، بلاغة. أدب. نقد. علي الجندي، مكتبة نهضة مصر، ط١، ١٩٥٢م: ، ج١ : ٣٥.

(٢٢)جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، السيد أحمد الهاشمي، المكتبة العصرية، صيدا بيروت: ٢٤٧.

(٢٣)ينظر : المعجم المفصل في الأدب ، إعداد : د. محمد التونجي ،دار الكتب العلمية بيروت لبنان ، ط٢ ، ١٤١٩هـ ١٩٩٩م : ٢٥٣.

(٢٤)التشكيل الشعري ، الصنعة والرؤيا ، د. محمد صابر عبيد ، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع ، سوريا دمشق ، ١٤٣٢هـ ـ ٢٠١١م : ١٤.

(٢٥) المصدر نفسه : ١٥.

(٢٦)الفضاء الشعري الأدونيسي ، سيمياء الدال وابتكار مفاتيح المعنى ، د. محمد صابر عبيد ، دار الزمان للطباعة والنشر والتوزيع ، ط١ ، ٢٠١٢م : ٢٣ـ ٢٤.

وإنما هناك طابع خاص لهذا التشكيل يجعل من الكلام شعراً دون غيره من ضروب الكلام، ويتوقف ذلك على مدى قدرة الشاعر في التشكيل الشعري، الذي يستمد مقوماته من معطيات البلاغة، فلغة البلاغة هي اللغة الشعرية [٢٧]، التي يستطيع من خلالها الشاعر عقد الصلة بين الثنائيات ، و" في اللحظة التي يكون فيها الشكل نقلاً للحلم وابتكاراً لطريقة جديدة في الكتابة "[٢٨] ، فإنه يخلق من العناصر اللغوية التي استعملها في ذلك التشكيل أشياء جديدة، وذلك أنَّه " يتناول الألفاظ ثم يهشمها ويقطِّعها ويحرقها ثم يخلق منها شيئاً جديداً، بحيث يتألف من طريقة نظم الكلمات مغزى موحداً، ومن جرسها سياق إيقاعي موحد، وتستحيل القصيدة إلى بنية دلالية إيقاعية، ليست للألفاظ بذاتها مزية، إنما تكسب تأثيرها من حالة نظمها على نحو مخصوص، وليس لها خارج القصيدة سوى مجال محدود من التأثيرات، يختلف طبقا للحالات التي توجد فيها "[٢٩]، وبهذا تصبح القصيدة في ذلك الشكل مزيجاً " من دم وخيال وفكر تتدفق معاً في لغة شعرية تنتظم في نسق موسيقي يؤلف ما يسميه بالوحدة العضوية الحية "[٣٠]، التي من شأنها أن تضجَّ بالحياة ، فبمقدار ما يتمتع الفنان بعلاقة موثقة مع الحياة، فإنه يستطيع أنْ ينقل تجربته من خلال تشكيل جديد لتلك الحياة ، و "الفنان الأصيل هو الذي يتمتع بقدر غير عادي من الرهافة والتوتر والحساسية والقدرات "[٣١] ، حيث تتشابك المعطيات الخارجية والداخلية ،الموضوعية والذاتية، وتتداخل العناصر العقلية والحسية والشعورية، فتنفرج عن مظاهر توثب وحدس وإلهام من جهة، وتفكر وجهد وإرادة وإصرار من جهة ثانية "[٣٢]، وهذه اللوحة المتخيَّلة تحتاج في تشكيلها إلى فنان قادر على استعمال الأدوات الفنية التي يستطيع من خلالها نقل حالته الشعورية المعبِّرة عن علاقته بالحياة إلى متلقٍّ، يستطيع مشاركته هذا الشعور بالحياة، من خلال النص، فالنصَّ الشعري هو جسم مركب من عناصر عديدة غير قابلة للتجزئة ، وكل عنصر من هذه العناصر له دلالته الخاصة، التي تُكوِّن مع العناصر الأخرى دلالة النص العامة ؛ إذ يؤدي تفاعل الألفاظ والمعاني إلى شكلٍ جديد مختلف عما كانت عليه تلك العناصر قبل دخولها في عملية التشكيل، وهذه العلاقات التي أفرزها التشكيل هي ما يطلق عليها بمصطلح الصورة، التي يشكلها الخيال، فالصورة تتكون من مجموع

([٢٧])ينظر : الفلسفة والبلاغة ، مقاربة حجاجية للخطاب الفلسفي ، د. عمارة ناصر ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، ط١ ، ١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م : ٣٠.

([٢٨])الحداثة في الخطاب النقدي عند أدونيس ، د. فارس عبد الله بدر الرحاوي ، دار الشؤون الثقافية العامة ، ط١ ، ٢٠١١م : ٣٧٤.

([٢٩])لغة الشعر الحديث في العراق بين مطلع القرن العشرين والحرب العالمية الثانية ، د. عدنان حسين العوادي ، منشورات وزارة الثقافة والإعلام ، سلسلة دراسات ،(٣٧٥) ، ١٩٨٥م : ٢٣ـ ٢٤.

([٣٠])الشكل والمضمون في الشعر العربي المعاصر ، د. عناد غزوان ، منشورات وزارة الإعلام ـ الجمهورية العراقية ، سلسلة كتاب الجماهير ، ١٩٧٤م : ٥ .

([٣١])تطور الشعر العربي الحديث في العراق ، د. علي عباس علوان ، دار الشؤون الثقافية العامة ، منشورات وزارة الإعلام ، الجمهورية العراقية ، سلسلة الكتب الحديثة ، ١٩٧٥م : ٩١.

([٣٢])في الأدب الفلسفي ، د محمد شفيق شيا ، مؤسسة نوفل بيروت لبنان ، ط١ ، ١٩٨٠م : ٦٢ـ ٦٣.

العلاقات القائمة بين دلالات الألفاظ وأنواع المجاز والتشبيه، وهي التي يظهر بها الإبداع الشعري؛ إذ " ليس الشعر هو الشيء المقول ، ولكنه طريقة قوله ... القصائد لا تصنع من الأفكار بل من الألفاظ "[٣٣]، وتشكيل هذه الألفاظ فضلاً عن العناصر الفنية الأخرى هو ما يؤدي إلى إنتاج الصورة؛ إذ تمثل الصورة الشعرية تكافؤاً وتعادلاً بين اللغة الشعرية وتجربة الشاعر، أو بين التجربة الشعرية، بوصفها مهارة ذاتية خلاقة في تحقيق التعادلية الشعرية الموفقة بين الحقيقة والمجاز بمعناها البلاغي أو البياني، من جهة، وفي استثمار اللغة الشعرية في القصيدة، بوصفها قاعدة حسية أو ذهنية للصورة، من جهة أخرى، فالصورة في أبسط تعريف لها هي : رسم قوامه الكلمات المشحونة بالإحساس ... بإيثار التشبيه والنعوت الزخرفية والتوازن والمقابلة ، والانصياع لأحكام العقل والمنطق "[٣٤]. ولذلك كانت الصورة من العناصر المركزية التي شغلت بال النقاد، وكان لها دور فاعل في القصيدة ، فقد " كانوا يحكمون على القصيدة بمدى جودتها، ومدى إصابتها في التشبيه ، لذلك نجد أن الصورة الفنية قديماً صورة بلاغية محضة ، أي : تعتمد على مطابقة المشبه للمشبه به ، ومدى ملائمة المستعار منه للمستعار "[٣٥]، معنى ذلك أنَّ تشكيل الصورة يتم من خلال العناصر البلاغية القادرة على بناء الخيال ، وأنَّ " أي تصور صائب للصورة الشعرية لابد أن يقوم على نظرية محددة ودقيقة في الخيال ... إذ أن كل صورة ليست مجرد خلق لموضوع أو فكرة فحسب ، وإنما خلق لهما في علاقة بتجربة "[٣٦].

إنَّ عملية التشكيل الأدبي لابد من أنْ توافق بين عالمين : عالم مرجعي وعالم نصي ، ومعنى العالم المرجعي : الأشياء الموجودة في الطبيعة قبل أن يعمد المبدع إلى تشكيلها في ذهنه. أما العالم النصّي فهو " سلسلة من الترابطات النصية، كالعلاقات اللسانية والأسلوبية والشكلية والدلالية، وعلاقة هذا كله بالمتلقي، بوصفه جزءاً من النسيج النصي . إن النص لا يحدد عالمه المرجعي، وإنما يشير إليه عن طريق بناء شكلي "[٣٧]، وهذا البناء الشكلي هو من نتاج المبدع، الذي يضفي على الأشياء في عالمها المرجعي لمساته الفنية، فتتحول إلى شيء آخر، غير ما كانت عليه في واقعها الطبيعي، ويأتي هنا دور الخيال وسرحاته في تشكيل اللوحة الشعرية.

ثالثاً: التشبيه في شعر ابن المنخل الشلبي

---

(٣٣) ارتحالات الشعر في الزمان والمكان ، طراد الكبيسي ، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع ، الأردن عمان ، الطبعة العربية ، ٢٠١٨م : ١٠.

(٣٤)الشعر العراقي الحديث ، ١٩٤٥ـ ١٩٨٠ في معايير النقد الأكاديمي ، د. عباس ثابت حمود ، دار الشؤون الثقافية ، ط١ ، ٢٠١٠م : ٤٣١.

(٣٥)القصيدة المركزة ووحدة التشكيل ، دراسة فنية في شعر الستينات في العراق ، د. علي صليبي مجيد المرسومي ، دار غيداء للنشر والتوزيع ، ط١ ، ١٤٣٧هـ ـ ٢٠١٦م : ٢٥.

(٣٦) في الرؤية الشعرية المعاصرة ، أحمد نصيف الجنابي ، الجمهورية العراقية ، كتاب الجماهير ٨ : ٣١.

(٣٧)اللغة المقنعة ، المواجهات الرمزية بين النص والسلطة ، ناظم عودة ، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع ، ط١ ، ١٤٣٩هـ ـ ٢٠١٨م: ٤٨.

أ- أركان التشبيه :

أركان التشبيه هي : (المشبه و المشبه به) ، ويسميان : طرفا التشبيه، و (الأداة) مذكورة أو محذوفة ، و(وجه الشبه) مذكوراً أو مقدراً[٣٨] .

وقيل إنَّ جميع أركان التشبيه هي لتوضيح حال المشبه، و جلاء هيئته، إذ تتم المشاركة بين المنشئ و السامع في الاهتمام بهذا المشبه الذي تقوم فكرة التشبيه على تثبيته و تقريره، و ذلك ينطوي على فائدة توكيد الحكم له[٣٩]. وهكذا فمن مقومات التشبيه هو أن يكون متصفاً بمبدأي : "الغيرية و التلازم و التفاعل"[٤٠] ؛ إذ يضل الحكم الفاصل هو التمسك بالرابط الظاهر بين المشبه والمشبه به، وهذا الرابط هو أداة التشبيه، التي تلغي اختلاط المعالم و الحدود، ولكنَّ وجود هذا الرابط لا يمنع من صنع عالمٍ من الخيال الخاص به، فكونه يحافظ على الحدود المتمايزة بين الأشياء"[٤١] لا يعني أن ينحو باللفظ إلى الحقيقة، بل يسهم في صناعة الصورة الشعرية بدرجة من الخيال التي تميزه عن الخيال الناتج عن الاستعارة، وذلك من خلال الاحتكام إلى الفاصلة التشبيهية، فيقوم التشبيه في هذه الحالة على ثنائية بين المشبه و المشبه به، تربطهما هذه الأداة التي تبقى عملية فرزها أمراً واضحاً، غير أنَّ الصورة الناتجة عنهما بلاشك صورة خيالية جميلة.

ولو وقفنا عند مواضع التشبيه في شعر ابن المنخل، فسنجد أنَّ الشاعر يحاول أن يصنع من خلال التشبيه عالماً من الخيال الموازي للخيال الذي تصنعه فنون البلاغة الأخرى، لتكون الصورة الشعرية عبارة عن مزيج من عناصر عديدة، فلو نظرنا مثلاً إلى قوله[٤٢]:

قد كان مثل السهم ينفذ في الوغى والنصرُ معقودٌ برأس لوائهِ

شيمٌ كأزهارِ الربيع وراءها همٌ تحطُّ النجم من علوائهِ

المشبه هنا الضمير هو (الممدوح)، والسهم مشبه به، وأداة التشبيه (مثل) ووجه الشبه سرعة النفاذ والاقتحام والصرامة والقوة. ومن يتأمَّل هذا التشبيه سوف تتداعى في ذهنه صورة خيالية، تقرن السهم بهذا الممدوح، مما يضفي مساحة جمالية ومعنوية لا يستطيع الأسلوب الحقيقي التعبير عنها، وإنّما الذي استطاع رسم هذه الصورة هو الخيال بوساطة التشبيه.

---

[٣٨]()ينظر :الإيضاح في علوم البلاغة، للخطيب القزويني ٦٦٦ـ ٧٣٩هـ، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع القاهرة، ط٣، ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م: ٢٢٨.

([٣٩]) ينظر: الصورة الفنية، د. جابر عصفور، دار التنوير، بيروت،ط٢، ١٩٨٣م. : ٢٣٧.

([٤٠]) الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية، د. مجيد عبد الحميد ناجي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، ط١، ١٤٠٤، ١٩٨٤م. : ١٩١.

([٤١])الأسس الجمالية في النقد العربي، د. عز الدين اسماعيل، دار الشؤون الثقافية، ط٣، ١٩٨٦م. : ١٩٨

([٤٢])ابن المنخل الشلبي: ١٧٥.

صور التشبيه عند ابن المنخل

من يراجع كتب البلاغة، فسيجد أنَّ البلاغيين قد تحدثوا عن أنواع كثيرة للتشبيه، وقد صنف القزويني في كتابه الإيضاح هذه الأنواع، التي منطلقها النظر إلى أركان التشبيه، فزاوية النظر إلى أي ركن من أركانه هي التي تحدد نوع التشبيه، فإذا كان المنطلق هو النظر إلى وجود أداة التشبيه أو عدم وجودها، فيسمى ذلك التشبيه مرسلاً أو مؤكداً، وبحسب النظر لوجه الشبه يسمى التشبيه مجملاً أو مفصلاً أو بليغاً، أو تمثيلياً، إن كان وجه الشبه مركباً تركيباً عقلياً، لا يدل على شيء محدد. والنظر إلى الطرفين بحسب الإفراد والتركيب ينتج أنواعاً أخرى ، وثمة التشبيه الضمني الذي يلمح لمحاً[٤٣].

ومن هنا نحاول أن نقف على أنواع التشبيه في شعر ابن المنخل الشلبي، مراعين بذلك جمالية التشبيه من خلال سرحات الخيال التي ينتجها بالتضافر مع الفنون الأخرى، وعلى النحو الآتي :

ـ التشبيه باعتبار ركنيه،من حيث كونهما حسيين أو عقليين:

ـ ما كان طرفاه حسيين [٤٤]، بمعنى أنَّ المشبه محسوس والمشبه به محسوس أيضاً ، من ذلك قوله[٤٥]:

إذا جُردت فيها السيوف حسبتها جداول روضٍ والرماح بها قضبا

كأن نعام الدوِّ باضت بأفقهِ وقد لقحت هوج الرياح به سحبا

فالمشبه هو السيوف والرماح ، والمشبه به الجداول والقضب، وكله عناصر حسية، فالتشبيه هنا حسي، ، فهذا تشبيه محسوس بمحسوس، ولكن على الرغم من كون الطرفين حسيين إلَّا أنَّ هذا التشبيه خلق فسحة من الخيال، إذ لا بدَّ من أن تتداعى إلى ذهن المتلقي صورة خيالية ممتزجة من عناصر عديدة.

ـ ماكان طرفاه عقليين

وقد يكون طرفا التشبيه (المشبه والمشبه به) عقليين كليهما، ومعنى ذلك أن يُدركا بالعقل وليس بالحواس، وهو ما يستدعي قدراً أكبر من مساحات الخيال، فمن ذلك قول الشاعر[٤٦]:

كذلك من يلقَ الخليفة تلقَهُ بشائرُ يستجلي بها السَّهلَ والرَّحبا

---

[٤٣]()ينظر : الإيضاح : ١٩٢ـ ٢٢٨.

(٤٤)الإيضاح :١٩٢.

(٤٥)ابن المنخل الشلبي : ١٦٧.

(٤٦)ابن المنخل: ١٦٠.

فالتشبيه في البيت : (لقيا الخليفة ـ مشبه) . لقيا البشائر ـ مشبه به)، وأداة التشبيه : لفظ كذلك، فطرفا التشبيه (لقيا الخليفة ولقيا البشائر) عقليان لا يدركان بالحواس وإنما يدركان بالعقل، وهذا التشبيه يستدعي إثارة الخيال لتصوُّر شعور من يلقى الخليفة، وهذا التصور هو عقلي لا حسّي.

ـ تشبيه معقول بمحسوس. ومنه قوله[٤٧]

عليها رجالٌ كالقداح وإنَّما يكونون في الهيجاء هنديَّةً قضبا

إنَّ قراءة هذا البيت تحتاج إلى تأمُّل، إذ إنَّ من يقرأه بعجالة، فسوف يقطع بأنَّ طرفي التشبيه محسوسان، وهما (الرجال والقداح)، فالرجال محسوس، والقداح هي الآلات التي يُقدح بها لإيقاد النار. ولكنْ من يتأمَّل البيت، فسيجد أنَّ الشاعر لم يرد تشبيه الرجال بالقداح، وإنِّما أراد تشبيه حالهم وهم على ظهر الخير، والحال ليس مما يدخل في الحواس، وإنَّما تُدرك بالعقل، فالتشبيه إذن يكون كالآتي:

ـ حال الرجال على ظهر الخيل معقول .

ـ القداح محسوس .

فهو إذن تشبيه معقول بمحسوس، وهو ما يستدعي خيالاً واسعاً، وذهناً متوقداً للوقوف على تصوُّر حال هؤلاء الرجال، وهنا تكمن جمالية هذا التشبيه.

ـ تشبيه محسوس بمعقول

وهو أن يكون المشبه معقولاً والمشبه به محسوساً، كقوله[٤٨]:

وغودرت الرايات تهفو كأنَّها جوانحُ من ذعرٍ عليك تطير

فالمشبه : الرايات محسوس، والمشبه به (جوانح الذعر)، وهذا مشبه به معقول، لأن ليس هناك جوانح ذعر، وإنما هذه صورة استعارية ليست من إدراك الحواس، بل من تصورات العقل.

ومن ذلك قول ابن الشاعر:

ورأتْ عُداة الله أنَّ حمامها من قيس عيلان فكنتَ حمامَها

فالتشبيه في البيت : (كنتَ حمامها). المشبه: الممدوح(محسوس)، والمشبه به الموت وهو (معقول)، فهذا تشبيه محسوس بمعقول، وقد رسم الشاعر لوحة خيالية للممدوح تدعو الذهن لأن يتخيله كالموت، أو يتخيل الموت فيه.

ومما يتفرع على أنواع التشبيه من زاوية النظر إلى طرفيه باعتبار المحسوس والمعقول : التشبيه الخيالي والتشبيه الوهمي، " والمراد بالحسي : المدرك هو ـ أو

(٤٧)ابن المنخل : ١٦٠.
(٤٨)ابن المنخل: ١٩٣.

مادته ـ بإحدى الحواس الظاهرة . فدخل فيه الخيالي "[٤٩] . فالخيالي إذن هو بناء التشبيه من أمور محسوساً بناءً خيالياً، فمما ورد من ذلك قول الشاعر[٥٠]:

كم ليلة دارت عليَّ كواكبٌ للخمر تطلع ثمَّ تغربُ في فمي

قبَّلتُها في كفِّ من يسعى بها وخلطتُ قبلتَها بقبلة معصمِ

وكأنَّ حسن بنانهِ مع كأسهِ غيمٌ يشيرُ لنا ببعضِ الأنجمِ

فمن يريد أن يقف على براعة هذا التشبيه، فلابد من أن يتأمل هذه الأبيات جميعاً، إذ رسم الشاعر هنا لوحة خيالية جمع فيها الليل والكواكب والخمر والفم والمعصم والكأس والأنجم، فكان مركز التشبيه هو : حسن البنان مع الكأس مشبه، والغيم الذي يتخلله بعض الأنجم مشبه به، ووجه الشبه هو اللوحة الخيالية التي ترتسم في الذهن، فهذا التشبيه خيالي بامتياز، ذاك أنَّ الشاعر استطاع أن يؤلف بين جميع هذه الأشياء المحسوسة فيجمعها في مكان واحد ليأتي دور الذهن في تأملها مجتمعة بلوحة خيالية تنم عن جمال فائق.

التشبيه باعتبار وجه الشبه

يقسم التشبيه على هذا الأساس على قسمين هما : التشبيه المفصل والتشبيه المجمل .

وينظر هنا إلى ذكر وجه الشبه أو عدم ذكره ، وكذلك من ناحية الاشتراك [٥١].

يقول القزويني: " وأما وجهه فهو المعنى الذي يشترك فيه الطرفان تحقيقا أو تخييلا"[٥٢]، فمن ذلك قول الشاعر[٥٣]:

بأيِّ حسامٍ أدفع الخطب بعدما فقدتُ الحسامَ المنذريَّ اليمانيا

ومن لي بمثل لمنذريِّ محمّدٍ صديقاً صدوقاً و خليلاً مصافيا

ـ المشبه : المنذري. المشبه به مثيله . ووجه الشبه : الصداقة. فالتشبيه هنا بالنظر إلى زاوية وجه الشبه يكون مفصلاً . إذ إنَّ وجه الشبه مذكور وهو الصداقة. ولكن لو تأمَّلنا التشبيه الآتي، وهو قول الشاعر[٥٤]

وفاتكِ الطرف ذي احورارٍ خدَّاهُ للوردِ والبهار

كالغصن في قدِّه ولكن كالظبي في الجيد والنفار

---

[٤٩]()الإيضاح : ١٩٣.

[٥٠]()

[٥١]()التلخيص : ٩٠.

[٥٢]()الإيضاح : ١٩٣.

[٥٣]() ابن المنخل: ١٩٦.

[٥٤]()١٩٢.

التشبيهات : تشبيه الخدود بالورد والبهار، وتشبيه القد بالغصن، والجيد بالظبي والنفار . فهذه التشبيهات اكتملت فيها أركان ثلاثة هي المشبه والمشبه به وأداة التشبيه، ولكنَّها افتقدت وجه الشبه، فلم يذكر الشاعر وجه الشبه بين الخد والورد، هل يقصد اللون أو النضارة أو الرقة، وكذلك لم يذكر وجه الشبه بين القد والغصن، ووجه الشبه بين جيد الموصوف وجيد الظبي، فهذه التشبيهات كلها (مجملة)، غير أننا يمكن أن نعثر على تشبيه مفصل، وهو أن الشاعر شبه المحبوب بالظبي في نفاره، فهذا تشبيه مفصل، وبالنظر لهذه التشبيهات المجملة والمفصلة يمكننا أن نعثر على سرحات من الخيال الواسع الذي ينطوي عليه ذهن الشاعر.

ـ باعتبار أداة التشبيه

أدوات التشبيه كثيرة منها ما هو حروف كـ : الكاف وكأن ، ومنها أسماء، مثل: ونظير وشبيه ومماثل ومشابه، ومنها أفعال مثل: يناظر يشابه .

فتسمية نوع التشبيه تنطلق من النظر إليه من هذه الزاوية، إذ تتوقف التسمية على ذكر أداة التشبيه أو عدم ذكرها ، فإذا ذكرت الأداة فالتشبيه حينئذ يسمى مرسلاً، وإن لم تذكر فالتشبيه يسمى مؤكداً[٥٥] .

ــ المرسل. وقد ورد هذا النوع في ديوان الشاعر، فمن ذلك قوله[٥٦]

أتوك يجرون الحديد سوابغاً كأنهم البحر الغمالط قد عبَّا

فالتشبيه في البيت: حالهم وهم يجرون الحديد مشبه، والبحر الغمالط مشبه به، وأداة التشبيه : كأنهم . فهذا التشبيه تشبيه مرسل لظهور أداة التشبيه، غير أنَّ هذه الأداة لم تكن حاجزاً في الذهن لمنع الخيال، بال بالعكس كانت هذه الأداة كالجسر الذي نقل لذهن من عالم الحقيقة إلى عالم الخيال.

ـ المؤكد

وهو ما لم يذكر فيه أداة التشبيه ، وقد يتساوى من هذه ناحية مع التشبيه البليغ، ولكنه يختلف عنه من ناحية أخرى، هي أنَّ التشبيه المؤكد يكون خالياً من أداة التشبيه، ولكنه قد يذكر فيه وجه الشبه، من ذلك، قول الشاعر[٥٧]:

هلالٌ تألَّقَ أم كوكبُ وبحرٌ تدفَّقَ أم مذنبُ؟

فالمشبه: أنتَ المحذوفة، والمشبه به: الهلال، وقد اختفت أداة التشبيه في البيت، ومن هنا نستطيع أن نطلق على هذا التشبيه تسمية : المؤكد، إذ اختفى الحد الفاصل بين

---

[٥٥]()ينظر : الإيضاح : ٢٠٥ .
[٥٦]ابن المنخل: ١٧٧.
[٥٧]ابن المنخل : ١٧٦.

المشبه والمشبه به، فكان كأنهما شيء واحد، وهذا التشبيه أوقع في الخيال لأنه بلا فاصلة بين الطرفين.

ولو تأملنا الأبيات السابقة، فسنجد أنها تنم عن صور لطيفة تمكنت من الخيال تمكناً واسعاً، غير أنَّها صنعت خيالاً خاصاً بفن التشبيه، وهو في طبيعته يختلف عن الخيال الذي تصنعه الاستعارة، فهذا الخيال أكثر سلاسة ووضوحاً من خيال الاستعارة، إذ يخلو من التعقيد الذي ينتجه الخيال في الاستعارة، ولذلك يميل الشعراء الذين يتبعون الأسلوب البياني إلى مزاولة الخيال الناتج عن التشبيه أكثر من اعتمادهم على خيال الاستعارة، في الانتقال من الواقع المادي إلى الخيال المتوهم، و انطلاقاً من فكرة تثبيت الخيال في النفس، يكون ظهور الأداة هنا عاملاً من عوامل التخييل، فهي الجسر الذي ينقل الذهن إلى تداعيات الخيال، فيما تريد إبرازه من خلق فني لخيال المنشئ، لأن "خيال المنشئ كاتباً كان أو شاعراً أو خطيباً يستظهر في تأليف صورة و تحبيرها بالمعلومات المختزنة لديه، و هذه المعلومات يلقفها مما تقع عليه حواسه أو يقتبسها من موارد الطعوم و الآداب، و الثقافات المختلفة التي حصلها، أو يستميلها من التجارب الشخصية التي مرت به في الحياة"[٥٨]، و تكمن قدرته في رسم الصور بدون وضع جداول تشبيهيه لطرف المشبه و طرف المشبه به لكي لا يكون التشبيه غرضاً لذاته.

ـ التشبيه البليغ

وهو التشبيه الذي حذف منه وجه الشبه والأداة معاً، وهو من أوجز التشبيهات وأبلغه تأثيراً وله ثلاثة أنواع رئيسة :

١ـ جعل المشبه والمشبه به مبتدأ وخبراً أو ما أصله مبتدأ وخبر .

من ذلك قول الشاعر[٥٩]:

إن كانت النعماء كنتَ سحابها أو كانت الهيجاء كنتَ سلاحها

فالتشبيهات البليغة في البيت : كنت سحابها، يعني أنت كالسحاب ، وهذا أصله مبتدأ وخبر: أنت سحابها، وكذلك : كنت سلاحها، يعني أنت كالسلاح ، فأصله أنت سلاحها، فهذا هو مبنى التشبيه البليغ الذي يمزج بين صورة المشبه وصورة المشبه به ليكونا صورة واحدة مدعاتها الخيال.

٢ـ اعتبار المشبه مقصوراً على المشبه به ومحصوراً به .

من ذلك قول الشاعر[٦٠]

([٥٨]) فن التشبيه :١٨٥.
([٥٩])ابن المنخل: ١٨٤.
([٦٠])ابن المنخل: ١٨٢.

إذا جاوزت درباً إليكم فإنَّما يجوز وشيكُ الموتِ نحوكم دربا

المشبه: حال الخيل وهو تجوز الدرب، والمشبه به الموت الوشيك، وقد قصر التشبيه بـ (إنَّما)، فأوحى إلى الذهن بصورة خيالية للموت في حالة عبور خيل الأعداء إلى الممدوحين، وقد أفاد القصر حصر حالة العبور بالموت.

٣ـ المضاف والمضاف إليه

وقد يأتي التشبيه على صيغة الإضافة ، وهو من أنواع التشبيه البليغ.

من ذلك الشاعر[٦١]:

لكنَّها عينُ اليقين بأنَّها قد أوقدت بك للهدى مصباحها

فقد قصد الشاعر أن يشبه اليقين بالعين الباصرة التي لا تخطئ النظر، ولكنه أضاف المشبه به إلى المشبه، فأنتج تشبيهاً بليغاً بالإضافة. وربَّما عُدَّ هذا التركيب استعارة، على اعتبار أنّ الشاعر جعل لليقين عيناً، ولكنْ من يتأمَّل هذا التعبير فسيجده للتشبيه أدنى من الاستعارة.

ـ التشبيه التمثيلي

وهو التشبيه الذي يكون وجه الشبه فيه منتزعاً من جوانب عديدة من الطرفين، يكون وجه الشبه مفرداً، وهو ما يعد في العرف واحداً، وليس الذي لا جزء له، أو يكون وجه الشبه مركباً، سواء أكان مركباً تركيباً اعتبارياً، يجعله بمنزلة الواحد بأن يكون حقيقة ملتئمة أم كان أوصافاً من مجموعها إلى هيئة واحدة .

فالتشبيه الذي يكون فيه وجه الشبه مركباً من عدة أمور منتزعة من المشبه والمشبه به فإنه يسمى بـ : التشبيه التمثيلي ، أو التمثيل[٦٢]، ومنه قول الشاعر[٦٣]:

وخريدةٍ مرت بشاطئ جدولٍ كالشمس طالعةً على آفاقها

فكأنَّها بلقيس وافت صرحها لو أنَّها كشفت لنا عن ساقها

فالتمثيل في هذا النص هو في تشبيه الخريدة ببلقيس، وعلى النحو الآتي:

ـ الخريدة مشبه . بلقيس مشبه به . وجه الشبه ليس صفة واحدة وإنما مجموعة صفات تجمع بين المشبه والمشبه به، وغاية التشبيه ليست في شكل أو صفة معينتين، وإنّما نحتاج في معرفة وجه الشبه إلى استحضار قصة بلقيس مع الصرح، الأمر الذي لا يعني الوقوف على صفة حسية، بل الوصول إلى معنىً عقلي يحتاج إلى تدبر وتأمل وتفكير، وهذا هو مغزى التشبيه التمثيلي، فقد يكون الشاعر قصد

---

(٦١)ابن المنخل: ١٨٤.
(٦٢)ينظر : الإيضاح : ١٩٨ـ ٢٠٤.
(٦٣)ابن المنخل: ١٩٥.

إثارة التعجب أو صورة من الترف والخيلاء وغير ذلك من الأمور العقلية غير المنظورة.

ـ التشبيه الضمني

التشبيه الضمني هو أنْ يأتي الشاعر بالمشبه ليجد له معادلاً يُستدل عليه من خلال صورة مقابلة من دون أن يشير الشاعر إلى تحديد المشبه والمشبه به[٦٤]، ومنه قول الشاعر[٦٥]:

فإن تبدؤوا بالغرب فالفتحُ واضحٌ وإنَّ نجوم الدين طالعةٌ غربا

فالمشبه في الشطر الأول هو الفتح، وقد تضمَّن الشطر الثاني تشبيهاً لهذا الفتح وهي النجوم الطالعة، ولكنَّ هذا التشبيه يُلحُ لمحاً ويحتاج إلى تأمل، ولذلك فهو تشبيه ضمني، وليس صريحاً كسائر التشبيهات.

جمالية التشبيه والغرض منه

تتشكل جمالية التشبيه من خلال الغرض الذي يقصده الشاعر في عملية إنتاج التشبيه ، ولقد اعتنى البلاغيون بالحديث عن أغراض التشبيه كونها تمثِّل الحالة الجمالية التي تدلُّ على حُسن التشبيه، وتوصلوا إلى أنَّ قد بينوا أنَّ أهم أغراضه هو الحاق الناقص بالزائد، ولكن من يتأمل هذا الغرض يجده غرضاً عرضياً غير أساسي، إذ إنَّ الغرض الأساس من التشبيه هو الإسهام في خلق الخيال الفني، ولذلك لم يرتضِ الكثير من البلاغيين تجيير التشبيه لهذا الغرض، إذ يقول صلاح الدين بن أيبك الصفدي : " من شرط بلاغة التشبيه أن يشبه الشيء بما هو أكبر منه وأعظم... والصحيح أن هذا الشرط باطل، والذي شرطه عاجز عن التشبيه مماطل "[٦٦]، وكذلك يرى ابن الزملكاني : " ليس بمشترط أن يكون أقوى بدليل قوله تعالى مثل نوره كمشكاة فيها مصباح ... "[٦٧] ، وحقيقة أنَّ منطلق هذه الرؤية هو وجود كثير من أمثلة التشبيه، ليس الغرض منها إيضاح صورة المشبه، وإنما التفنن في خلق الصور الشعرية القادرة على الخلق الفني الذي ينتجه الخيال، ولنقف على قول الشاعر لنرى مدى انطباق هذه النظرية أو عدم انطباقها، إذ يقول:

قد كان مثلَ السهم ينفذ في الوغى والنصرُ معقودٌ برأس لوائه

---

[٦٤]()ينظر :التشبيه الضمني، محمد فواز عرسان غنام، جامعة البلقاء التطبيقية، كلية الزرقاء الجامعية، ٢٠١٨م: ٣.

[٦٥]()ابن المنخل: ١٧٩.

[٦٦]()الكشف والتنبيه على الوصف والتشبيه: تأليف الإمام صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، (ت ٧٦٤هـ)، تحقيق: د. هلال ناجي، ووليد بن أحمد الحسين أبو عبد الله الزبيدي، ط١، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م : ٧١ـ ٧٣.

[٦٧]()البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن: تأليف: كمال الدين عبد الواحد بن عبد الكريم الزملكاني المتوفى (٦٥١) تحقيق: د. خديجة الحديثي و د. أحمد مطلوب، مطبعة العاني بغداد، ط١، ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م: ١٢٦.

فلو نظرنا إلى هذا التشبيه نظرة سطحية، فسنرى أنَّ الشاعر شبه الممدوح بالسهم، ولكن هذه نظرة قاصرة، فغرض الشاعر لا يكمن في جعل الممدوح كالسهم، فالممدوح أجلُّ وأسمى وأكثر صفات من السهم، ولا يمكن أن يكون أقلَّ صفات من السهم لتنطبق نظرية إلحاق الناقص بالزائد، فالشاعر أراد خلق الصورة الفنية القادرة على تجاوز الصفات الحقيقية إلى صفات أتم وأشمل وأعمق، فصوره في حالته هذه كالسهم، ولكنه في حالته الأخرى أوسع مدى وأكثر شمائل من السهم الجامد.

العامل النفسي في فعل الخيال الناتج عن التشبيه :

تقدَّم فيما سبق الحديث عن الخيال، وهنا نحاول تسليط الضوء على الجوانب النفسية التي تتناغم مع عملية الخلق الفني في إنشاء عالم الخيال في الصورة الشعرية.

من المعلوم أنَّ النقد الحديث راعى هذا الجانب، فقرن بين دراسة التشبيه والحالة النفسية، وهو ما يمكن أن يندرج تحت مبدأ التداعي النفسي، إذ يُعزى " إلى كل معنى، وإلى كل اسم حقول تداعياته التي تسمح بعملية الانزلاق والاستبدال على مستوى الأسماء وعلى مستوى المعاني وعلى كلا المستويين معاً "[٦٨] . وقد أشار القدماء كذلك إلى هذا الجانب، فابن طباطبا ينبه إلى ضرورة أن تكون الصورة التشبيهيه صادقة في الكشف عما يختلج في النفس [٦٩]، وبذلك يكون التشبيه أداة فنية ووسيلة تعبيرية غايتها التعبير عن تجربة شعورية، يتخذها الشاعر عاملاً للتفاعل بينه وبين متلقيه، ويقابلها عمليات من الكشف للوصول إلى عمق تلك التجربة، وهذا لا ينفي أن من التشبيهات ما هو صورة من الألوان والأشكال تحكي ما هو خارجي؛ لكن ذلك لا يمنع من أن ما وراء هذه الأشكال والألوان شيئاً خفياً وذلك هو الدافع النفسي للقول، وأثره في نفس المتلقي، فالتشبيه إذن " صورة فنية قائمة على الربط والمقارنة بين شيئين تجمعهما صفة أو مجموعة من الصفات المشتركة، والهدف من ذلك المبالغة والطرافة، وإضفاء صفة الجمال على التعبير، ليكون مجال التخيل أكثر اتساعاً، وطريقة التصوير أكثر مبالغة وتشويقاً " [٧٠] في نفس المتلقي من خلال التفاعل النفسي مع صدق التجربة، ومن ذلك مثلاً النص الآتي[٧١]:

إنْ ينقلب ليلُ الشباب نهارا فلقد أجدَّ بنا المشيبُ عثارا

فوددتُ أنَّ الليل أصبحَ عندي وأنَّ الصبح كان خمارا

([٦٨]) بلاغة الخطاب وعلم النص، صلاح فضل الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، ط١، ١٩٩٦م : ٣٣.

([٦٩])عيار الشعر، محمد أحمد بن طباطبا العلوي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان : ١٦ ـ ١٧.

([٧٠])البلاغة العربية مقدمات وتطبيقات، بن عيسى باطاهر، دار الجديد المتحدة، ط١، ٢٠٠٨م. : ٢١٦.

([٧١])ابن المنخل: ١٩١.

فمن يتأمل هذه اللوحة، فسيجد أن الشاعر شبه بياض الشعر بالنهار وسواده بالليل، وقرن ذلك بالمسير بدرب يكثر فيه العثار، وهذه اللوحة تنمُّ عن الحالة النفسية التي تشكِّلُ موقف الشاعر من الشيب وموقفه من ذكريات الشباب، ومن خلال تأمل النص والنصوص التي حللناها سابقاً نستطيع أن نؤيد ما قاله الباحثون من أنَّ الاهتمام إذا ما انصب على البحث عن الأصل التشبيهي بين الطرفين فإن ذلك يسبب ضياعاً لإبداعات الصور التشبيهيه التي ليس من مهمتها الإقناع دائماً بوجه المقاربة و الشبه، بل تتعدى ذلك إلى إثارة الانفعالات النفسية القادرة على صنع عالم من الخيال، فلا يعمد إلى التشبيه لذاته، بل يعمد إليه كوسيلة من وسائل الصياغة الفنية و التركيب، فهو عنصر ضروري لأداء المعنى المراد من جميع الوجوه، فإنَّ اتخاذ التشبيه مجرد وسيلة للجمع بين طرفين في صفة ما لتثبيتها، هو تقصير عن إدراك قيمة هذا اللون، فالتشبيه يفضي بالقارئ إلى إدراك طبيعة الأسلوب العام الذي تجري عبره العملية الفنية، وأنَّ حسن التشبيه لا يكمن في التناسب بين طرفي التشبيه، و إنما الجمال فيه عبارة عن وحدة كثيرة التأليف و الانسجام، و محاولة تجزئتها و التفرس بالعناصر التي تتألف منها، لا تفضي إلا إلى الوقوع على هيكل ميت؛ لأن جذوة التجربة الشعرية تُعانى معاناة و يشعر بها شعوراً، لكنها تتعطل و تستحيل عند محاولة القبض عليها و أسرها بالتوضيح و التفسير(٧٢)، مما ينمُّ عن حسن التشبيه، وإسهام هذا الحسن في تشكيل سرحات الخيال.

(٧٢) ينظر : نماذج في النقد الأدبي، إيليا حاوي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط٣ : ١١

الخاتمة

بعد أنْ أتممنا بعون الله بحثنا الموسوم بـ (حُسن التشبيه وسرحات الخيال في شعر ابن المنخل الشلبي)، نضع فيما يأتي بعض النتائج التي توصل إليها البحث، وعلى النحو الآتي:

- ركَّز البحث على موضوع التشبيه بوصفه عنصراً من عناصر الصورة الشعرية القادرة على إثارة المتلقي من خلال ما تنتجه من خيال.
- كان من إفرازات البحث الوصول إلى نتيجة مفادها أن الصورة الشعرية هي المرحلة النهائية التي تتأطر بها الصنعة الشعرية ، فتظهر من خلاله براعة الشاعر في استعمال اللغة استعمالاً فنياً.
- لم تكن غاية البحث دراسة التشبيه دراسة بلاغية، بل من ناحية كونه عاملاً من عوامل الخلق الفني في عملية التخييل الذي تصنعه اللغة،فهي أهم مكونات التشكيل الصوري، التي تخلق النص بكل محتوياته الفنية.
- حاول البحث تفكيك عناصر الصورة بالإشارة إلى فكرة تضافر العناصر البنائية في النص وتآزرها مع عنصر التشبيه.
- بيَّن البحث مدى هيمنة عناصر البيان على تشكيل الصورة الخيالية، بوصف التشبيه أحد عناصر البيان.
- أشار البحث إلى أن فكرة رجوع التشبيه إلى المجاز أكثر صواباً من فكرة رجوعه إلى الحقيقة، لأنَّ غاية التشبيه صناعة الخيال الذي يبعد النص عن أن يكون تعبيراً حقيقياً.
- لم تهمل الدراسة في عملية تحليل النصوص الجانب النفسي ، فكثيراً ما عمدت إلى ربط الصورة الشعرية بالحالة الشعورية للشاعر .
- استقصى البحث وجود التشبيه في شعر ابن المنخل، فوجد أنَّ الشاعر كان واعياً للفرق بين الخيال الذي ينتجه التشبيه عن الخيال الذي تنتجه الاستعارة.
- نظر البحث إلى تشبيهات ابن المنخل من زوايا عديدة، من حيث طرفاه، وأداة التشبيه، ووجه الشبه، فوجدت أنَّ الديوان تضمن معظم أنواع التشبيه، منه ما يتعلق بطرفيه، المحسوس والمعقول، ومنه ما يتعلق بأداته، كالمرسل والمؤكد، ومنها ما يتعلق بوجه الشبه، كالمفصل والمجمل، والبليغ، والتمثيلي، والضمني.
- أشار البحث إلى أنَّ الغرض الأساس للتشبيه ليس إلحاق الناقص بالزائد، بل هو عملية خلق فني تتعلق بالجوانب النفسية للمنشئ والمتلقي.

المصادر

- ابن المنخل الشلبي (ت في حدود ٥٦٠ هـ) حياته وما تبقى من شعره، جمع وتوثيق ودراسة : د. آزاد محمد كريم الباجلاني، قسم اللغة العربية ـ كلية التربية الأساسية، جامعة كرميان، نشر: مجلة العلوم العربية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد: ٧١/ ربيع الثاني ١٤٤٥هـ.
- ارتحالات الشعر في الزمان والمكان ، طراد الكبيسي ، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع ، الأردن عمان ، الطبعة العربية ، ٢٠١٨م.
- أسرار البلاغة، تأليف: الشيخ الإمام أبي بكر، عبد القاهر بن الرحمن بن محمد الجرجاني النحوي، ٤٧١ أو ٤٧٤هـ، تعليق: محمود محمد شاكر، دار المدني بجدة، ط١، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩١هـ.
- الأسس الجمالية في النقد العربي، د. عز الدين إسماعيل، دار الشؤون الثقافية، ط٣، ١٩٨٦م.
- الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية، د. مجيد عبد الحميد ناجي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، ط١، ١٤٠٤، ١٩٨٤م.
- الإيضاح في علوم البلاغة، للخطيب القزويني ٦٦٦ـ ٧٣٩هـ، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع القاهرة، ط٣، ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م.
- البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن: تأليف: كمال الدين عبد الواحد بن عبد الكريم الزملكاني المتوفى (٦٥١) تحقيق: د. خديجة الحديثي و د. أحمد مطلوب، مطبعة العاني بغداد، ط١، ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م.
- بلاغة الخطاب وعلم النص، صلاح فضل الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، ط١، ١٩٩٦م.
- البلاغة العربية مقدمات وتطبيقات، بن عيسى باطاهر، دار الجديد المتحدة، ط١، ٢٠٠٨م.
- تأويل مشكل القرآن، لابن قتيبة، ٢١٣ـ ٢٧٦هـ، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار التراث القاهرة، ط٢، ١٣٩٣ـ ١٩٧٣م.
- التشبيه الضمني، محمد فواز عرسان غنام، جامعة البلقاء التطبيقية، كلية الزرقاء الجامعية، ٢٠١٨م.
- التشبيه المجازي: د. سمير أحمد معلوف، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، المجلد ٨٧، العدد: ٣٠ يونيو حزيران ٢٠١٢م.

- التشكيل الشعري ، الصنعة والرؤيا ، د. محمد صابر عبيد ، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع ، سوريا دمشق ، ١٤٣٢هـ ـ ٢٠١١م.
- تطور الشعر العربي الحديث في العراق ، د. علي عباس علوان ، دار الشؤون الثقافية العامة ، منشورات وزارة الإعلام ، الجمهورية العراقية ، سلسلة الكتب الحديثة ، ١٩٧٥م.
- التكملة لكتاب الصلة، ابن الأبار البلنسي (٦٥٨)، عبد السلام الهراس، دار الفكر، ١٩٩٥م.
- التكملة لكتاب الصلة، ابن الأبار البلنسي (٦٥٨)، عبد السلام الهراس، دار الفكر، ١٩٩٥م.
- ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني، حققها وعلق عليها: محمد خلف الله أحمد، محمد زغلول سلام، دار المعارف بمصر، ط٣، ١٩٧٦م.
- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، السيد أحمد الهاشمي، المكتبة العصرية، صيدا بيروت.
- الحداثة في الخطاب النقدي عند أدونيس ، د. فارس عبد الله بدر الرحاوي ، دار الشؤون الثقافية العامة ، ط١ ، ٢٠١١م.
- الروض المعطار في خبر الأقطار، الحميري (٩٠٠هـ)، دار الجيل، بيروت، ١٩٨٨م.
- شرح الكافية البديعية، صفي الدين الحلي، تحقيق: د. رشيد عبد الرحمن العبيدي، جمهورية العراق، الوقف السني، مركز البحوث والدراسات الإسلامية، بغداد، ط١، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م.
- الشعر العراقي الحديث ، ١٩٤٥ـ ١٩٨٠ في معايير النقد الأكاديمي ، د. عباس ثابت حمود ، دار الشؤون الثقافية ، ط١ ، ٢٠١٠م.
- الشكل والمضمون في الشعر العربي المعاصر ، د. عناد غزوان ، منشورات وزارة الإعلام ـ الجمهورية العراقية ، سلسلة كتاب الجماهير ، ١٩٧٤م.
- الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، المؤلف: أحمد بن فارس بن زكريا الرازي، أبو الحسين، المحقق: أحمد حسين بسج، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.
- الصناعتين، الكتابة والشعر، تصنيف: أبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط١، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
- الصورة الفنية، د. جابر عصفور، دار التنوير، بيروت،ط٢، ١٩٨٣م.

- عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، للشيخ بهاء الدين أبي حامد أحمد بن علي بن عبد الكافي السبكي، ٧٧٣هـ، د. خليل إبراهيم خليل، منشورات: محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠١م.
- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تأليف أبي علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي، ٣٩٠ ـ ٤٦٥ هـ، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، ط٥، ١٤١٠ـ ١٩٨١م.
- عيار الشعر، محمد أحمد بن طباطبا العلوي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.
- الفضاء الشعري الأدونيسي ، سيمياء الدال وابتكار مفاتيح المعنى ، د. محمد صابر عبيد ، دار الزمان للطباعة والنشر والتوزيع ، ط١ ، ٢٠١٢م.
- الفلسفة والبلاغة ، مقاربة حجاجية للخطاب الفلسفي ، د. عمارة ناصر ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، ط١ ، ١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م.
- فن التشبيه، بلاغة. أدب. نقد. علي الجندي، مكتبة نهضة مصر، ط١، ١٩٥٢م.
- في الأدب الفلسفي ، د محمد شفيق شيا ، مؤسسة نوفل بيروت لبنان ، ط١ ، ١٩٨٠م.
- في الرؤية الشعرية المعاصرة ، أحمد نصيف الجنابي ، الجمهورية العراقية ، كتاب الجماهير.
- القصيدة المركزة ووحدة التشكيل ، دراسة فنية في شعر الستينات في العراق ، د. علي صليبي مجيد المرسومي ، دار غيداء للنشر والتوزيع ، ط١ ، ١٤٣٧هـ ـ ٢٠١٦م.
- الكامل في اللغة والأدب، أبو العباس المبرد، تحقيق: جمعة الحسن، دار المعرفة بيروت لبنان، ١٤٢٨هـ.
- الكشف والتنبيه على الوصف والتشبيه: تأليف الإمام صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، (ت ٧٦٤هـ)، تحقيق: د. هلال ناجي، ووليد بن أحمد الحسين أبو عبد الله الزبيدي، ط١، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.
- لسان العرب، ابن منظور الإفريقي (ت٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٩٩٤م.
- لغة الشعر الحديث في العراق بين مطلع القرن العشرين والحرب العالمية الثانية ، د. عدنان حسين العوادي ، منشورات وزارة الثقافة والإعلام ، سلسلة دراسات ،(٣٧٥) ، ١٩٨٥ م.
- اللغة المقنعة ، المواجهات الرمزية بين النص والسلطة ، ناظم عودة ، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع ، ط١ ، ١٤٣٩هـ ـ ٢٠١٨م.

- مدينة شلب الأندلسية من الفتح وحتى السقوط (٩٥ـ ٦٤٥هـ /٧١٤ـ ١٢٤٧م)، إعداد: عبد المجيد مفتاح محمد عبيدات، الجامعة الأردنية، تموز ٢٠١٣م.
- معجم البلدان، ياقوت الحموي (٢٦٢هـ)، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٤م.
- المعجم المفصل في الأدب ، إعداد : د. محمد التونجي ،دار الكتب العلمية بيروت لبنان ، ط٢ ، ١٤١٩هـ ١٩٩٩م.
- مفتاح العلوم، تأليف: أبي يعقوب، يوسف بن محمد بن علي السكاكي، ٦٢٦هـ، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، منشورات: محمد علي بيضون، ط١، ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م.
- المقتضب من كتاب السمط، الإمام الشلبي الاستجي(٥٦٠هـ)، : ٨٧.
- نقد الشعر لأبي الفرج قدامة بن جعفر، كمال مصطفى، الخانجي، دت.

،